﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾﴾

[النّمل: 72]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

قُـرْبُ الـعـذابِ الـدّنـيـويّ مـنَ الكفّار نذيرٌ على سوء عاقبتهم

لمّا استعجلت قريشٌ بأمر السّاعة، أو بالعذاب الموعود به، وسألوا عن وقته على سبيل الاستهزاء، قيل للنّبيّ أن يقول لهم: قل عسى أن يكون العذابُ الذي تتوقّعونه رَدِفَكم بعضُه، أي: تبعكم عن قُرْبٍ وصار في الالتصاق بكم كالرّديف التّابع لكم بعضُ ما استعجلتُم به، وهو في آثاركم، ولاحقٌ بكم، وهو ما كان من عذاب يوم بدر. وقيل: عذاب القبر[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿رَدِفَ﴾: (ردف) أَصْلٌ واحِدٌ مُطَّرِدٌ، يَدُلُّ على اتِّباعِ الشَّيْءِ. فالتَّرادُفُ: التَّتابُعُ. والرَّديفُ: الَّذي يُرادِفُكَ. ويُقالُ: نَزَلَ بِهِمْ أَمْرٌ فَرَدِفَ لَهُمْ أَعْظَمُ مِنْهُ، أَيْ: تَبِعَ الأَوَّلَ ما كانَ أَعْظَمَ مِنْهُ. وأَرْدافُ النُّجومِ: تَواليها. والرِّدْفانِ: اللَّيْلُ والنَّهارُ. وهَذا أَمْرٌ لَيْسَ لَهُ رِدْفٌ، أَيْ لَيْسَتْ لَهُ تَبِعَةٌ[2]. والمراد في قوله تعالى: ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾ أي: اقْتَرب لكم، ودنا منكم، ولَحِق بكم ما استعجلتموه منَ العذاب[3].

2) ﴿تَسْتَعْجِلُونَ﴾: (عجل) أَصْلانِ صَحيحانِ، يَدُلُّ أَحَدُهُما عَلَى الإِسْراعِ، والعَجَلَةُ في الأَمْرِ، يُقالُ: هوَ عَجِلٌ وعَجُلٌ، لُغَتانِ. واسْتَعْجَلْتُ فُلانًا: حَثَثْتُهُ. وعَجِلْتُهُ: سَبَقْتُهُ. والعُجالَةُ: ما تُعَجِّلُ

(1) الشّريف الرّضيّ، تلخيص البيان: 2/ 261، وأبو حيّان، البحر المحيط: 16/ 480، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 209 - 210.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ردف).
(3) الرّاغب، المفردات: (ردف).

مِنْ شَيْءٍ[1]. والمعنى المحوريّ: سَبْقٌ بتحصيل الشَّيء قبلَ وقته[2]. والعَجَلَةُ: طلبُ الشَّيء وتحرّيه قبلَ أوانه، وهو من مقتضى الشّهوة، فلذلك صارت مذمومةً في عامّة القرآن، حتّى قيل: العَجَلَةُ منَ الشّيطان[3]. والمُراد بـ ﴿تَسْتَعْجِلُونَ﴾: تتعجّلون العذابَ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

في إمهال الكفّار مِنّةٌ عظيمةٌ منَ الله عليهم برغم استحقاقِهم للعذاب

أجابَهم اللّهُ تعالى على سؤالهم عن موعد حلول العذاب بهم، فقال: قل لهم - أيّها الرّسول الكريم - لا تتعجّلوا العذابَ، فعسى ما تستعجلونه من عذابٍ أن يكون رَدِفَ لكم، أي: دنا منكم، وصار رِدْفًا لكم، بعضُه قد لحَقِكم ونزلَ بكم، وبعضُه في طريقه إليكم، وأنتُم لا تشعرون بذلك، لشِدّة غفلتكم، وتبلّد مشاعرِكم. وقد لحقهم شيءٌ من هذا العذاب الذي تعجّلوه في مكّة، عندما أُصيبوا بالقَحْط والجَدب، ولحِقَهم شيءٌ منه بعد ذلك في بدر، عندما قَتَل المسلمون أكثرَ زعمائهم، كأبي جهل، وغيره. والتّعبيرُ بـ ﴿عَسَىٰٓ﴾، و(لعل) هو يقينٌ واقعٌ، لا رجاءٌ متوقَّعٌ، فما يَعِدُ اللّهُ ﷻ به فهو واقعٌ لا شَكّ فيه، على أيّة صورة جاء عليها الوعد[4].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

عِلّةُ فصلِ الآية عمّا قبلها:

جاء الجوابُ منَ الله على سؤالهم بتهديد المشركين بقُرْب حلولِ العذاب

فَصَلَ النّظمُ الكريم بفِعْل الأمر ﴿قُلْ﴾ بينَ الآيتين، وذلك لشِبه كمالِ الاتّصال؛ لأنّ الآية الأولى تضمّنت سؤالًا، ووقعتِ الجملة الثّانية جوابًا له، وهو ما يُسَمّى بالاستئناف البيانيّ[5]، فقد أُمِرَ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (عجل).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (عجل).
(3) الرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (عجل).
(4) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5481، والخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 10/ 279، وطنطاويّ، التّفسير الوسيط: 10/ 354.
(5) بسيوني فيّود، علم المعاني، ص: 462.

الرَّسولُ ﷺ بِأنْ يَقولَ لَهم هذا القولَ كي يرتدِعوا بهذا التّهديد، الذي سُرعان ما تحقّقت بشائرُه في غزوة بدر وغيرها منَ الغزوات.

فائدةُ التّعبيرِ بـ﴿عَسَىٰٓ﴾:

تتجلّى عَظَمةُ الأُلوهيّة وعُلوُّها حتّى في التّهديد والوعيد

عبّر النّظمُ الحكيم بـ﴿عَسَىٰٓ﴾ في قوله: ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾، و﴿عَسَىٰٓ﴾ مِنَ اللّهِ: إيجابٌ، وفسَّر كثيرٌ منَ المفسّرين (لعلّ) و(عَسَى) في القرآن باللّازم، وقالوا: إنّ الطّمع والرّجاء لا يَصِحُّ منَ اللّه، وفي هذا نظر كما يرى الرّاغبُ؛ وذلك أنّ اللّه تعالى إذا ذكر ذلك فإنّما يذكره ليكون الإنسانُ منه راجيًا، لا لأن يكون هو تعالى مَن يرجو، فقولُه: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾ [الأعراف: 129]، أي: كونوا راجين في ذلك[1]، وهو أشبه بالاختلاف اللّفظيّ لا الحقيقيّ. و(عسى) و(لعلّ) و(سوف) في وعد المُلوك ووعيدِهم - يدلّ على صدق الأمر وجِدِّه، وما لا مجالَ للشَّكّ بعدَه، وإنّما يعنون بذلك: إظهارَ وقارهم، وأنّهم لا يعجلون بالانتقام، لإدلالِهم بقهرهم وغلبتهم، ووثوقِهم أنّ عدوَّهم لا يفوتُهم، وأن الرّمزةَ إلى الأغراض كافيةٌ من جهتهم، فعلى ذلك جرى وعدُ اللّه ووعيدُه[2]. فيكون من قبيل الاسْتعارَة التّمثيليّة، حيثُ شَبَّه الهيئةَ الحاصلة من وعيد الملوك بكلمة (عسى)، بالهيئة الحاصلة منَ الوعيد جزمًا في عدم التّخلّف، وكذا وعدهم[3].

سِرُّ التّعبير بـ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾:

إضافةُ فعلِ (الكون) تقتضي توكيدَ ما جاء بعدَه منَ الوعيد بالعذاب

آثر النّظم الكريم التّعبير بـ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾؛ وذلك لأنّ ذِكْر فعلِ (الكون) يدلُّ على الحصول المُطلَق، وخبرُه يدلّ على الكون المخصوص، فجيءَ بلفظٍ دالٍّ على حصولٍ ما، ثمّ عيَّن

(1) الرّاغب، المفردات: (عسى).
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 470.
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 442.

بالخبر ذلك الحاصلَ، فكأنّه قال: رَدِفَ لكم بعضُ العذاب الذي تستعجلون، ثمّ عبّر بالكون لمزيدٍ منَ التّأكيد. فالفائدة في إيراد مطلقِ الحصول أوّلًا، ثمّ تخصيصِه، مع فائدة أخرى، هي دلالتُه على تعيين زمان ذلك الحصول المُقيَّد[1]، وفي ذلك توكيدٌ على أنّ العذاب سيحيق بهم عاجلًا، ومبالغةٌ في استحقاقهم له، بسبب تكذيبهم وكفرهم وعنادِهم.

تأكيدُ حلولِ العذاب بالمُكذِّبين المُعانِدين المُتهكِّمين

فائدةُ التّعبير بالجارّ والمجرور ﴿لَكُم﴾:

ذكرَ المُعربون في اللّام من ﴿لَكُم﴾ أربعةَ أقوال؛ **الأوّل**: أنّها حرفٌ على بابها، وهي مع مجرورها الكافِ متعلّقان بـ﴿رَدِفَ﴾، ويكون ﴿رَدِفَ﴾ متضمّنًا معنى فعلٍ يتعدّى باللّام، نحو: (قَرُب) و(أَزِفَ). **والثّاني**: أن تكون مزيدةً للتّأكيد، والكافُ في محلّ نصبٍ مفعولٍ به لـ﴿رَدِفَ﴾ التي تتضمّن معنى (تبع) أو (لحق) على هذا الوجه. **والثّالث**: أنّها للعِلّة، والكافُ في محلّ جَرٍّ بها، وهما متعلقان بـ﴿رَدِفَ﴾، والمفعول به محذوف؛ أي: رَدِفَ الخَلْق لأجلكم. **والرّابع**: أنّها متعلّقة مع مجرورها بمحذوف خبر مُقَدّم، و(بعضُ) مبتدأ مُؤَخّر. والوجهُ الأوّل أحكمُ، والثّاني غيرُ بعيد، أمّا الثّالث والرّابع فالضَّعفُ ظاهرٌ فيهما[2]. وعلى الوجهين الأوّل والثّاني فإنّ في ﴿لَكُم﴾ تأكيدًا للمعنى المُراد في الآية، وهو حلولُ العذاب بهم بما يُشبِهُ الاختصاصَ، فقد عدلَ النّظم عن مثل: (قل عسى أن يكون رَدِفَ بعضُ الذي تستعجلون) إلى التّعبير بـ﴿لَكُم﴾ لِما فيها من معنى التّوكيد والمبالغة والاختصاص.

دلالةُ تقديمِ خبر ﴿يَكُونَ﴾ على اسمها:

لا مَفَرَّ لهؤلاء المُكذِّبين من عذاب الله

قَدَّمَ النّظمُ الحكيم خبرَ ﴿يَكُونَ﴾ وهو قوله تعالى: ﴿رَدِفَ لَكُم﴾، على اسمها، وهو قوله تعالى: ﴿بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾،

(1) الشّريف الرّضيّ، شرح الكافية: 2/ 221، والدّماميني، تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد: 3/ 171، والسّامرائيّ، معاني النّحو: 1/ 209.

(2) الخطيب وآخرون، التّفصيل في إعراب آيات التّنزيل: 20/ 30.

والأصل بحسب مقتضى الظّاهر أن يكون النّظمُ: (قل عسى أن يكون بعضُ الذي تستعجلون رَدِفَ لكم)، وقد دلَّ هذا التّقديمُ على الاهتمام بالمُتَقدِّم، وهو تأكيدُ حلولِ العذاب بهؤلاء المُكذِّبين المُعانِدين، فلا مَفَرّ لهم من عذاب الله ما داموا على شِرْكهم وكُفْرِهم.

فائدةُ إضافةِ ﴿بَعْضُ﴾ إلى ﴿ٱلَّذِى﴾:

عبّر النّظمُ الحكيم في قوله تعالى: ﴿بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾ بإضافة كلمة ﴿بَعْضُ﴾ إلى الاسم الموصول ﴿ٱلَّذِى﴾، وفي استعمال هذه الكلمة دلالةٌ على التّخويف والتّهديد، فإنّ كلّ ما سيَحِلُّ بهم منَ العذاب في القريب العاجل إنّما هو جزءٌ ممّا ينتظرُهم منَ العذاب العظيم، وطائفةٌ منَ العذاب الأليم، ويمكن القولُ كذلك: إنّ ذِكر ﴿بَعْضُ﴾ الذي يستعجلونَه دونَ العذاب السّاحِق الماحِق، كما كان لعادٍ وثمودَ وأصحابِ الأيكة؛ لأنّ الله تعالى يتولّى تأديبَهم في الحياة الدّنيا، بالغزوات المُؤدِّبة لهم كغزوة بدر، والخندق، والحُدَيبية، وفتحِ مكّة؛ لأنه سبحانه يريد أن يجعلَ من ذُرّيتِهم من يَعبُد الله ويجاهدُ في سبيله، كما كان خالدُ بنُ الوليد، وعكرمةُ بنُ أبي جهل، وغيرُهما[1]. وعبّر بإضافتها إلى الاسم الموصول ﴿ٱلَّذِى﴾ إشارةً إلى ما في حيّز الصِّلةِ منَ الاستعجال، وهو ما يُنبِئ بأنّ العذاب الدّنيويَّ واقعٌ بهم لا محالةَ، سواء أستعجلوه أم لا، ما داموا على كفرهم وعنادهم.

ما أعدّهُ اللهُ للمشركين المُعانِدين منَ العذاب عظيمٌ

عِلّةُ التّعبيرِ بالاستعجال مادّةً وصيغةً:

العَجَلَةُ: طَلَبُ الشَّيءِ وتَحَرّيه قبلَ أوانه، وهو مِن مقتضى الشَّهوة، ولذلك فقد غلبَ استعمالُها في القرآن الكريم على مواطنِ الذَّمِّ، وقد بالغ الكفّارُ في التّهكُّم بيوم البعث وإنكارِ العذاب الدّنيوي والأُخْرَويّ

سَفَهُ الكفّار وعنادُهم دفعَهم إلى تجديد استهزائهم وتَهَكُّمِهم بأمر العذاب والبعث

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5480.

في الآية السّابقة، حتّى فُهِمَ منَ السّياق أنّهم يقولون: إن كان هذا العذابُ الذي تتوعَّدُنا به واقعًا حقًّا؛ فَعَجِّل به، فنَسبَ النّظمُ الحكيم الاسْتِعْجالَ إلَيْهِمْ بِناءً عَلى ما يَقْتَضيهِ ما هم عَلَيْهِ مِنَ التَّكْذيبِ والاسْتِهْزاءِ، وإلّا فَلا اسْتِعْجالَ مِنهم حَقيقَةً[1]. وعَبَّر بالفعل المضارع الذي يُفيدُ التّجدُّدَ والاستمرارَ مُسنَدًا إلى ضمير الجمع؛ للإشارة إلى كثرة عنادِهم واستكبارِهم المَرَّة تِلْو المَرّة، وليوحيَ بتآلُبِهم على الجَهْر بالعِناد والتّهكُّم والسُّخْرية من وعيد الله.

دلالةُ حذفِ المفعول في ﴿تَسْتَعْجِلُونَ﴾:

في حذف الضّميرِ العائد على العذاب تفخيمٌ وإبهامٌ للتّخويف والإنذار

كان مقتضى الظّاهر أن يأتيَ النّظمُ بذِكْر المفعول به، فيقول: (تستعجلونه)، ولكنّه عَدَل عن هذا الظّاهر، إلى حذف المفعول في ﴿تَسْتَعْجِلُونَ﴾؛ لتفخيم شأنِ العذاب وتضخيمِه في نفوس المُكذِّبين المُعانِدين، ولأنّ إبهامَ هذا العذابِ من شأنه أن تذهب نفوسُهم في تقديره كلَّ مذهبٍ، فتمتلئَ نفوسُهم رُعبًا ممّا ينتظرُهم منَ العذاب الأليم في الدّنيا، ومنَ الوعيد الشّديد في الآخرة.

بلاغةُ الاستعارةِ التّمثيلية في الآية:

في النزعة البيانيّة تأكيدٌ لحلول العذابِ بالكافرين

في نظم الآية كلِّها اسْتِعارَةٌ تَمْثيليَّةٌ، لا يَخْفى حُسْنُها، فقد شُبِّه العذابُ براكبٍ يَرتَدفُ وراءَ آخَر، يتعجَّلُ الوصولَ إليه، وذلك لإيثار ما عَلَيْهِ النَّظْمُ الكَريمُ عَلى أنْ يُقالَ: (عَسى أنْ يَرْدِفَكم ... إلَخْ)؛ لِكَوْنِهِ أدَلَّ عَلى تَحَقُّقِ الوَعْدِ[2].

بلاغةُ أسلوبِ الحكيم في الآية:

تَهَكُّمُ الكفّار دليلٌ على سَفَهِهِم وقِلّةِ عقولِهم

عبّرتِ الآيةُ السّابقة عن إنكار الكفّار واستبعادِهم لأمر العذاب الدّنيويّ والأُخْرويّ، وبدا ذلك واضحًا في الاستفهام التّهكُّميّ السّاخِر، ولكن جاء الجَوابُ في هذه الآية جاريًا عَلى الأُسْلوبِ

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 20/ 50.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 20/ 50.

الحَكيم، بِحَمْلِ اسْتِفْهامهم عَلى حَقيقَةِ الِاسْتِفْهام؛ تَنْبيهًا عَلى أنَّ حَقَّهم أنْ يَسْألوا عَنْ وقْتِ الوعيدِ ليَتَقَدَّموهُ بِالإيمانِ[1]. ومن شأن هذا الأسلوب أن يَلْفِت انتباهَ المُتَلقّي ويَشْحَذ ذِهنَه في تَلقّيه لأقوال الكفّار، ليَتبيّن ما فيها من تهافتٍ وسَفَهٍ وغُرور.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 27.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأربعون،
سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 40 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-90-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 40 : المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-90-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9294238 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»